المفسرون

بين الاعتذار عنهم

وضرورة تنقية كتبهم من الإسرائيليات

إعـــــداد

الباحث

محمد عبد الله حيانى

استاذ الحديث وعلومه المساعد بقسم الدراسات الاسلامية بكلية التربية - جامعة الملك فيصل الاحساء - المملكة العربية السعودية

الباحث

سليمان بن صالح القرعاوى

استاذ القرآن وعلومه المساعد بقسم الدراسات الاسلامية بكلية التربية - جامعة الملك فيصل الاحساء - المملكة العربية السعودية

مقدمة

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد :

فقد كانت القصة ولم تزل فى حياة ابن آدم عبر تاريخه عاملا هاما فى توجيهه نحو الصواب وسببا فى تسليته مما يعانيه من ظروف حياته حيث يجد فيها السلوان والمنشط نحو العمل الجاد كلما كسل أو فتر وهى العظة والعبرة الموقظة لقلبه وفكره إذا غرق فى غفلته عن ربه وعن واجبه نحوه ، لذلك لم يغفلها القرآن الكريم فجعل لها قسطا وافرا بين دفتيه فتحدث فيها عن كثير من الأمم السابقة وأشهر تلك الامم أمة بنى اسرائيل ، والمعلوم أن أسلوب القرآن الكريم ليس أسلوب المؤرخ المسهب فى ذكر الحوادث وانما هو رسالة تشريعية هادفة جعلت القصة سبيلا للوصول الى الدهـ فالمنشود لذلك اقتصر منها على الشاهد فربما أسهب فيها أو أوجز فيها حسب مقتضى الحال .

ولما رأى الصحابة الكرام أطراف القصص القرآنى تطلعوا إلى معرفة الصورة المتكاملة لذلك القصص الحق ، فكانوا يسألون رسول الله ﷺ عنه أحيانا ويسألون أهل الكتاب ممن دخلوا فى الإسلام عندهم علم بكتب الأمم السابقة أحيانا أخرى وذلك بعد أن أذن النبى ﷺ للصحابة بالسماع منهم والحديث عنهم ، وكان ذلك بعد زوال المحذور ، وهو خوف اختلاط تلك الروايات عن بنى اسرائيل بالأحكام الشرعية ، حيث قال عليه الصلاة والسلام : (حدثوا عن بنى اسرائيل

ولا حرج) ، غير أنه نشأ عن ذلك - بعد عهد الصحابة رضى الله عنهم - توسع فى رواية القصة الاسرائيلية كما إنتهز بعض المغرضين الفرصة فوضعوا روايات باطلة وحاولوا ترويجها ولكن سرعان ما نبه عليه سلفنا الصالح رضى الله عنهم بكل يقظة ونباهة إما تصريحا وإما تسجيلا لها ضمن تفاسيرهم لكتاب الله العزيز على نحو ما انتهجوه آنذاك وتعارفوا عليه من تسجيلها لأهل زمانهم كى لا يغتروا بها لو رأوها فى كتب أهل الكتاب أو سمعوها منهم ، لأن تسجيلها فى كتب التفسير من مفسر معروف بعدالته وضبطه وفضله وحرصه على الإسلام دليل على أنه انما سجلها ازاء الرواية الصحيحة ليميزها ، وأما المفسر المعروف بالتساهل بالكذب فإن تسجيله لها دليل على ترويجها وليس على سبيل التنبيه عليها ، بل أصبح لا يتميز عنده بالباطل من الصحيح وهذا أمر معروف لديهم فى تلك العصور ، وفى هذا العصر سمع المثقف المعاصر بعض المتخصصين أو قرأ عنه عبارات عن المفسرين يفيد ظاهرها الانكار المطلق عليهم لادخالهم الاسرائيليات ، ومن تلك العبارات (ان فلانا من المفسرين حشا تفسيره من الرواية الاسرائيلية) أو (ان المفسر الفلانى شحن تفسيره من الاسرائيلية) أو (ان فلانا من المفسرين ملأ تفسيره من الاسرائيلية) وان كان التقييد عند القائل مرادا ضمنا أو سبق بيانه له ، لكن غير المتخصصين عندما يسمع أو يقرأ مثل هذه العبارات المطلقة يشتد نكيره على المفسرين دون تمييز ودون أن يعرف السبب والمنهج المتبع آنذاك ، وهذا موقف له سلبياته حالا ومستقبلا على تاريخ سلفنا الصالح - رضى الله عنهم - فانهم كانوا وما زالوا القدوة الحسنة لكل من جاء بعدهم علما وعملا والحال

قد صنفوا كتبهم لأهـل زمانهم ، وأهـل عصرهم يختلفون اختلافا كبيرا عن أهـل هذا العصـر علمـا وعملا ٠

لذلك أحببنا القيام بكشف النقـاب عن حقيقـة الأمـر فى هـذا البحث المتواضـع كى يطلع المثقف على الأسباب والمسوغات التى دفعت المفسرين لإدخال تلك الروايات فى تفاسيرهم وبعد ذلك يعـذر سلفـه الصـالح ويستمر فى اقتفاء أثرهم دون شـك وارتياب ، كما علينا أن نهيىء له التفسـير المنـاسب لظرفه العلمى كى يفهم كلام الله عز وجل دون عائق أو تردد ٠

هذا ودة اقترحنا أن تكون خطة البحث على النحو التـالى :

١ ـ المقـدمة ٠

٢ ـ تعـريف الإسرائيليات ٠

٣ ـ أنواعها وحكم رواية كل نوع ٠

٤ ـ كيف تسربت الإسرائيليات إلى كتب التفسير ٠

٥ ـ موقف علمـاء السلف والفكر المثقف المعاصر من وجود الإسرائيليات فى كتب التفسـير ٠

٦ ـ نوع التفسير الذى دخلته الرواية الإسرائيلية ٠

٧ ـ النسبة المئوية للإسرائيليات الباطلة فى كتب التفسير ٠

٨ ـ من يعتذر عنه من المفسرين ومن لا يعتذر عنه ٠

٩ ـ ضـرورة الاعتذار ٠

١٠ ـ ما يمكن أن يعتـذر به ٠

١١ ـ تنبيهـات ٠

١٢ ـ ضرورة تنقية كتب التفسير من الإسرائيليات الباطلة .

١٣ ـ الأسلوب الأمثل فى تنقية كتب التفسير من الإسرائيليات الباطلة .

١٤ ـ الخـاتمـــة .

١٥ ـ الفهـــرس .

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آلـه وصحبه وسلم

* * *

٢ ـ المبحث الأول

(أ)تعريف الإسرائيليات :

الإسرائيليات : جمع إسرائيلية نسبة إلى إسرائيل ، وهو لقب ليعقوب عليه السلام ، قال :

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله : إسرائيل هو نبى الله يعقوب عليه السلام ، ثم استدل بما أخرجه أبو داود الطيالسى من حديث ابن عباس رضى الله عنهما . قال : حضرت عصابة من يهود نبى الله ﷺ فقال لهم : هل تعلمون أن اسرائيل يعقوب ؟ قالوا : اللهم نعم ، فقال النبى ﷺ : اللهم اشهد(١) أ.هـ .

وانما لقب يعقوب عليه السلام بهذا اللقب فيما روى أنه لما هرب من أخيه العيص ، كان يسرى بالليل ويكمن فى النهار لذلك لقب باسرائيل(٢) .

وقيل : إن إسرائيل كلمة عبرانية مركبة من (اسرا) بمعنى عبد أو صفوة ، ومن (ايل) وهو الله فيكون معنى اسرائيل على ذلك « عبد الله »(٣) ويؤيد هذا المعنى ما حكاه الحافظ ابن كثير عن ابن

---

(١) انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٨٤/١

(٢) انظر : تاريخ الأمم والملوك لابن جرير الطبرى ٣١٧/١ ، والكامل فى التاريخ لابن الأثير ١٢٦/١ ، والبداية والنهاية لابن كثير ١٦٧/١ .

(٣) انظر : بنو اسرائيل في الكتاب والسنة للدكتور محمد سيد طنطاوي ص ١٨ .

عباس رضى الله عنهما قال : إن إسرائيل كقولك : عبد الله(٤) .

هذا عن أصل كلمة (الاسرائيليات) ، أما المراد بها عند الاطلاق فهو ما نقل عن بنى اسرائيل من أخبار سواء من كان منهم من عهد سيدنا موسى عليه السلام ، أو من عهد داود عليه السلام ، أو من عهد عيسى عليه السلام ، لأن عيسى أرسل إلى بنى إسرائيل ، وقد نص القرآن الكريم على ذلك ، قال الله تعالى حاكيا عن عيسى عليه السلام: « ورسولا إلى بنى إسرائيل انى قد جئتكم بآية من ربكم »(٥) ، « وإذ قال عيسى ابن مريم يا بنى إسرائيل إنى رسول الله إليكم »(٦) ، وبذلك يدخل فى الاسرائيليات كل ما جاء عن كتبهم الماضية من التوراة والزبور والانجيل .

ويؤيد ذلك ما أخرجه البخارى باسناده من حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال : كان أهل الكتاب يقرأون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لاهل الإسلام ، فقال رسول الله ﷺ « لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم ، قولوا آمنا بالله وما أنزل »(٧) فقوله عليه الصلاة والسلام: (لا تصدقوا أهل الكتاب) المراد بهم أهل الكتب السماوية السابقة منذ عهد موسى إلى عهد عيسى عليهما السلام لأن اللفظ مطلق غير مقيد

---

(٤) انظر : تفسير القرآن العظيم ١/٨٤ .
(٥) سورة آل عمران : الآية ٤٩ .
(٦) سورة الصف : الآية ٥
(٧) أخرجه البخارى في كتاب التفسير ، باب (قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا) . انظر فتح الباري لابن حجر ٨/١٧٠ .

بجماعة معينة من بنى اسرائيل(٨) ٠

وقوله عليه السلام : « وحدثوا عن بنى إسرائيل ولا حرج »(٩) المراد من بنى اسرائيل هم الذين نزلت فيهم الكتب السماوية السالفة الذكر ٠

بعد هذا نخلص إلى أن الاسرائيليات ، هى الأخبار التى وردت من أهل الكتاب سواء عن طريق كتبهم أو ما تناقلوه مشافهة ، وسواء فى ذلك اليهود أو النصارى ، وإن غلبت أخبار اليهود كثرة على أخبار النصارى ، والله أعلم ٠

قال الشيخ محمد حسنين الذهبى رحمه الله : ولفظ الإسرائيليات وإن كان يدل بظاهره على القصص الذى يروى أصلا عن مصادر يهودية يستعمله علماء التفسير والحديث ويطلقونه على ما هو أوسع وأشمل من القصص اليهودية فهو فى اصطلاحهم يدل على كل ما تطرق الى التفسير والحديث من أساطير قديمة منسوبة فى أصل روايتها الى مصدر يهودى أو نصرانى أو غيرهما ، بل توسع بعض المفسرين والمحدثين فعدوا من الإسرائيليات مادسه أعداء الإسلام من اليهود وغيرهم على التفسير والحديث من أخبار لا أصل لها فى مصدر قديم وإنما هى أخبار من صنع أعداء الإسلام صنعوها بخبيث نية وسوء طوية، ثم دسوها على التفسير والحديث ليفسدوا بها عقائد المسلمين كقصة الغرانيق وقصة زينب بنت جحش وزواج الرسول ﷺ منها ٠

---

(٨) انظر : فتح البارى لابن حجر ٣٣٥/١٣ ٠

(٩) أخرجه البخارى فى كتاب الأنبياء ، باب ما ذكر عن بنى اسرائيل، انظر : فتح البارى ٤٩٦/٦ ٠

وإنما أطلق علماء التفسير والحديث لفظ الإسرائيليات على كل ذلك من باب التغليب للون اليهودى على غاره ، لأن غالب ما يروى من هذه الخرافات والأباطيل يرجع فى أصله الى مصدر يهودى(١٠) أ.هـ .

٣ - أنواع الإسرائيليات وحكم رواية كل نوع

إن مجمل الروايات الاسرائيلية تنطوى تحت أنواع ثلاثة :

أولها : ما علم صحته وذلك لموافقته أصول شريعتنا من ظاهر القرآن الكريم أو ما صح فى السنة المطهرة ، ومن ذلك تعيين اسم صاحب موسى عليه السلام بأنه الخضر ، فقد ورد فى السنة الصحيحة موافقا لما جاء عن أهل الكتاب ، وذلك فيما أخرجه البخارى من حديث أبى ابن كعب رضى الله عنه مرفوعا فى قصة لقاء موسى بالخضر عليهما السلام(١١) .

ثانيها : ما علم كذبه ، وذلك لمخالفته أصول شريعتنا الاسلامية ، ومن ذلك ما ورد عن أهل الكتاب أن سليمان عليه السلام دخل الحمام فوضع خاتمه عند امراة من أوثق نسائه ، فأتاها الشيطان ، فتمثل لها على صورة سليمان عليه السلام ، فأخذ الخاتم منها .. القصة ، ومنها : أن الشيطان كان ياتى نساء سليمان ، وهن حيض(١٢) ... فمثل هذا الخبر يتعارض مع أصل عصمة الله لأنبيائه عن كل ما يمس

---

(١٠) انظر : الاسرائيليات فى التفسير والحديث ص ٢٠ .

(١١) أخرجه البخارى فى صحيحه . انظر : صحيح البخارى كتاب التفسير ، باب قوله تعالى : (**وإذ قال موسى لفتاه**) ٦/١٠٠ .

(١٢) انظر : الدر المنثور للسيوطي ١/٣١٢ .

بمقام النبوة والرسالة ، فضلا عن أن العقل البشرى السليم لا يصدق مثل هذا الخبر فى غير الأنبياء ، فكيف بهم عليهم السلام .

ثالثا : ما هو مسكوت عنه ، فلا هو واضح الكذب ولا واضح الصدق ، ولا يعارض أصلا من أصول الشريعة ولا يوافقها ، ومن ذلك : ذكر أسماء أصحاب الكهف ، ولون كلبهم ، وعصا موسى من أى الشجر كانت ، وأسماء الطيور التى أحياها الله عز وجل لابراهيم عليه السلام ، وتعيين بعض البقر الذى ضرب به قتيل بنى اسرائيل ونحو ذلك(١٣) .

اما حكم رواية كل نوع فانه لا يتم معرفة ذلك عن طريق الإسناد وإنما عن طريق المتن وذلك لأن مصدر الاسرائيلية إما من أفراد أهل الكتاب والحال أن الأسانيد إلى أنبيائهم منقطعة ، وإما من كتبهم وكتبهم دخلها التحريف لذلك لا يتسنى الحكم عليها إلا بالنظر فى متنها فحسب ودراسته من حيث موافقته لأصول الشريعة والعقل والواقع أو عدم ذلك فإن وافقها فهو النوع الأول وإن لم يوافقها فهو النوع الثانى، وإن لم يوافق ولم يخالف فهو النوع الثالث المسكوت عنه .

اما حكم رواية النوع الأول فهو جائز الرواية للاستشهاد به فحسب ولا يتخذ حجة لأن ما فى شريعتنا غنية عن الاحتجاج به ، وعلى هذا النوع يحمل قوله عليه الصلاة والسلام : « وحدثوا عن بنى اسرائيل

---

(١٣) انظر هذا التقسيم فى مقدمة أصول التفسير لابن تيمية ص ١٠٠، ومقدمة تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣/١ ، والتفسير والمفسرون للدكتور الذهبى ١٧٩/١ ، والاسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير للدكتور محمد أبو شهبة ص ١٠٦ .

ولا حـرج »(١٤) ٠

قال الامام مالك رحمه الله فى معنى هذا الحديث : المـراد جواز التحدث بما كان من أمـر حسن ، أما ما علم كذبه فلا(١٥) أ٠ هـ ٠

وأما النوع الثـانى فلا خلاف فى تحريمه مطلقا للقطـع بتحـريم الكذب فى شريعتنـا ٠

وأما النوع الثالث : فتجوز روايته لعدم ضرر الناتج عن ذلك ما دام فى دائرة عدم الاحتجاج به وإن كان فى الأصل يحتمل الصدق والكذب، وعلى هذا يحمل قوله عليه الصلاة والسلام : « إذا حدثكم أهـل الكتاب بشىء فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم »(١٦) ٠

وقد أوضح الإمام الشافعى رحمه الله حكم النوع الأول وهذا الأخير فى معرض شرحه لقوله ﷺ : (وحدثوا عن بنى اسرائيل ولا حرج) إذ يقول : من المعـلوم أن النبى ﷺ لا يجيز التحدث بالكذب فالمعنى حدثوا عن بنى اسرائيل ما لا تعلمون كذبه ، وأما ما تجـوزونه - أى صدقه وكذبه وهو المسكوت عنه - فلا حـرج عليكم فى التحدث به عنهم وهو نظير قوله : (إذا حدثكم أهـل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم) ولم يرد الإذن ولا المنـع من التحدث بما يقطـع بصدقه(١٧) أ٠ هـ ٠

---

(١٤) أخـرجه البخارى فى كتاب الأنبيـاء ، باب ما ذكـر عن بنى اسرائيل ٠ انظر فتح البارى ٦/٤٩٦ ٠

(١٥) انظر : فتح البارى ٦/٤٩٨ ٠

(١٦) المسند ٤/١٣٦ ٠

(١٧) فتح البـارى ٦/٤٩٩ ٠

ومما تقدم يتضح أن الامام مالكا والشافعى رحمهما الله حملا قوله ﷺ : (وحدثوا عن بنى إسرائيل ولا حـرج) على النوع الأول ولكن خالفهما الحافظ ابن كثير فحمـل الحديث على النوع الأخير المسكوت عنه فقال : هو محمول على الاسرائيليات المسكوت عنهـا فليس عندنا ما يصدقها وما يكذبها فيجـوز روايتها للاعتبار اهـ .

ونقول إنه لا يمنـع مانع من أن يحمـل الحديث على النوع الأول لوجود ما يشهد بصدقه فى شرعنا وذلك لأنه إن جاز حمـل هذا الحديث وهو صريح فى الإذن بالحديث عن أهـل الكتاب على ما هو مسكوت عنـه فحمله على ما هو واضح الصدق جائز فى باب أولى . وأما ما ورد من النهى عن الحديث عن أهـل الكتاب فإنه محمول على أن ذلك الشىء كان فى صـدر الإسـلام خوف اختلاط الرواية الاسرائيلية بنصوص الشريعة فلمـا زال المـانع جاز الإذن لروايتها على نحو ما تقدم ، وقد صـرح بذلك الحافظ ابن حجـر رحمه الله فقال : عند شرحه لحديث (وحدثوا عن بنى اسرائيل ولا حـرج) قال : إنه كان تقدم عن الرسول ﷺ الزجر عن الأخذ عنهم والنظـر فى كتبهم ثم حصـل التوسـع فى ذلك ، وكان النهى وقـع قبل استقرار الأحكام الإسـلامية والقواعد الدينيـة خشية الفتنـة ، ثم لمـا زال المحذور وقـع الإذن فى ذلك لمـا فى سماع الأخبار التى كانت فى زمانهم من الاعتبار (١٨) اهـ .

* * *

(١٨) فتح البارى ٦/٤٩٨ .

٤ ـ كيف تسربت الإسرائيليات إلى كتب التفسير

بما أن طبيعة الرواية الإسرائيلية تعكس الحياة الدينية والاجتماعية والسياسية والعسكرية التى مر بها بنو اسرائيل عبر تاريخهم الطويل ، فمن غير المستبعد أن تحتضنها كتب التاريخ والمغازى والملاحم ، أما تسللها الى كتب التفسير فذلك مدعاة للتساؤل ، غير أن هناك أسبابا متعددة فسحت المجال لذلك . هذا وقد كشف العلامة ابن خلدون فى مقدمته عن تلك الأسباب ، وسوف نسوق كلامه فى ذلك ، ثم نذكر باقى الأسباب . يقول العلامة ابن خلدون ما نصه :

« والسبب فى ذلك ـ فى دخول الاسرائيليات كتب التفسير ـ أن العرب لم يكونوا أهل كتاب ولا علم وإنما غلبت عليهم البداوة والأمية ، وإذا تشوقوا الى معرفة شىء مما تتشوق إليه النفوس البشرية فى أسباب المكونات ، وبدء الخليقة ، وأسرار الوجود فإنما يسألون عنه أهل الكتاب قبلهم ، ويستفيدونه منهم ، وهم أهل التوراة من اليهود ومن تبع دينهم من النصارى ، وأهل التوراة الذين بين العرب يومئذ بادية مثلهم ، ولا يعرفون من ذلك إلا ما تعرفه العامة من أهل الكتاب ومعظمهم من حمير الذين أخذوا بدين اليهود ، فلما أسلموا بقوا على ما كان عندهم مما لا تعلق له بالأحكام الشرعية التى يحتاطون لها مثل أخبار بدء الخليقة وما يرجع إلى الحدثان والملاحم وأمثال ذلك ، مثل كعب الأحبار ووهب بن منبه وعبد الله ابن سلام وأمثالهم ، فامتلأت التفاسير من المنقولات عنهم فى أمثال هذه الأغراض أخبارا موقوفة عليهم ، وليست مما يرجع الى الأحكام فنتحرى فى الصحة التي يجب بها العمل ، وتساهل المفسرون في مثل

ذلك ، وملأوا كتب التفسير بهذه المنقولات ، وأصلها كما قلنا عن أهل التوراة الذين يسكنون البادية ولا تحقيق عندهم بمعرفة ما ينقلونه من ذلك إلا أنهم بعد صيتهم ، وعظمت أقدارهم لما كانوا عليه من المقامات فى الدين والملة فتلقيت بالقبول من يومئذ (١٩) أ.هـ ..

بعد هذا يتضح أن ابن خلدون رجع الأمر إلى اعتبارات اجتماعية، وأخرى دينية ، فعد من الاعتبارات الاجتماعية غلبة البداوة والأمية على العرب ، وتشوقهم لمعرفة ما تتشوق إليه النفوس البشرية من أسباب المكونات وبدء الخليقة وأسرار الوجود ، وإنما يسألون فى ذلك أهل الكتاب مثلهم .

ـ كما عد من الأسباب الأمية الدينية التى سوغت لهم تلقى المرويات فى تساهل وعدم تحر الصحة .

« أن هذه المنقولات ليست مما يرجع إلى الأحكام ، لذلك لا تحتاج الى تحر الصحة فيها »(٢٠) .

وقال الامام يحيى بن سعيد القطان : تساهلوا ـ المحدثون ـ فى أخذ التفسير عن قوم لا يوثقونهم فى الحديث(٢١) أ.هـ .

وقال الامام أحمد بن سيار المروزى فى جويبر بن سعيد كان من أهل بلخ وهو صاحب الضحاك وله رواية ومعرفة بأيام الناس ، وحاله

---

(١٩) انظر مقدمة ابن خلدون ص ٤٣٩ .

(٢٠) انظر التفسير والمفسرون للدكتور محمد الذهبى ١٧٨/١ .

(٢١) تهذيب التهذيب ١٢٤/٢ .

حسن فى التفسير وهو لين فى الرواية - أى الحديث - (٢٢) أ . هـ .

- ومن أسباب ذلك أيضا أن الصحابة رضى الله عنهم كانوا يفهمون لغة القرآن عندما يسمعونه من رسول الله ﷺ بفطرتهم اللغوية، غير أن هناك أمورا تبقى محل السؤال مما يحتاج الى توقيف وخاصة فيما يتعلق بالقصص القرآنى الذى تحدث عن بنى اسرائيل بايجاز ، فكانوا يسألون عنه رسول الله ﷺ ، وأحيانا يجدونه عند أهل الكتاب باعتبار قرب أهل الكتاب منهم ، ومخالطتهم لهم فى المدينة ، علما أنهم لم يخالفوا رسول الله ﷺ فى نهيه لهم أن يسألوا أهل الكتاب فيما يتعلق بالأحكام والعقائد حتى ولم يتوسعوا فى السماع منهم والحديث عنهم ، وهذا الأمر يكشف عن مدى الصلة بين القرآن الكريم والكتب السماوية السابقة ، غير أن القرآن الكريم تميز بالايجاز ، وتميزت تلك الكتب بالاطناب لذلك كان فيها شرح وتفصيل لما أجمله القرآن من قصص السابقين .

- ومن الأسباب أيضا أن الصحابة رضى الله عنهم لم يتفرغوا التفرغ الكامل لرواية ما سمعوه من النبى ﷺ مما يتعلق بالقصص القرآنى، ولا ما سمعوه ممن وثقوا بهم من أهل الكتاب ، وذلك نظرا لانشغالهم بالجهاد والفتوحات ، لذلك لما جاء دور التابعين وقرأوا القرآن احتاجوا الى السؤال ، ولما لم يجدوا منالصحابة من يجيبهم على الوجه الأتم أحيانا ، عندئذ لجأوا الى أهل الكتاب ممن دخلوا فى الاسلام ، فكان التابعون يسألونهم عن

---

(٢٢) المرجع السابق .

تفصيل جميع ما أجمله القرآن الكريم من قصص بنى اسرائيل(٢٣)،
لهذا كله دخلت الاسرائيليات كتب التفسير وانتشرت فيها .

٥ ـ موقف علماء السلف والفكر المعاصر من وجود الاسرائيليات فى كتب التفسير

ان منهج علماء السلف الصالح رضى الله عنهم تحرى الدقة فى التقييم والدراسة والتحليل والنقد ، فللاطلاق موضع وللتقييد موضع آخر وهكذا الأمر فى الخاص والعام فلا يستعملون الاطلاق فى موضع التقييد ولا التخصيص فى مقام العموم ولا العكس ، وقد نظروا الى الاسرائيليات من حيث هى فرأوا القرآن الكريم قد حوى قسطا كبيرا من قصص بنى اسرائيل ، لأن القصة من أهدافه وهى ترسيخ العظة والعبرة فى قلب القارىء والسامع ، قال الله تعالى : « **لقد كان فى قصصهم عبرة لأولى الألباب** »(٢٤) ، وقال تعالى : « **فاقصص القصص لعلهم يتفكرون** »(٢٥) كما رأوا أن السنة الثابتة قامت بدورها باستخدام القصة الاسرائيلية لنفس الهدف والغرض وذلك كحديث الثلاثة من بنى اسرائيل الذين آووا الى غار فانسد عليهم باب الغار .

وكحديث الرجل من بنى اسرائيل الذى قتل تسعة وتسعين نفسا وكحديث الابرص والأعمى والأقرع . ونحو ذلك كثير ، وهذا يدل على أهمية دور الرواية الاسرائيلية . لذلك لما رأى علماء السلف

---

(٢٣) انظر : الاسرائيليات والموضوعات فى كتب التفسير للدكتور محمد أبو شهبة : ص ٤٧ .

(٢٤) سورة يوسف : الآية ١١١ .

(٢٥) سورة الأعراف : الآية ١٧٦ .

ما يأتى عن أهل الكتاب موضحا للقصة القرآنية وموافقا لاصول الشريعة من الكتاب والسنة قبلوه ورووه للناس على سبيل الاستشهاد وقد سبق اذن النبى ﷺ لهم فى ذلك وكذا فعلوا فيما هو مسكوت عنده مع التوقف فى الاستئناس به ، وأما ما خالف ذلك فلم يقبلوه وعابوا على كل مفسر أدخله تفسيره دون أن ينبه على بطلانه وكذبه ، ولم يطلقوا القول فى تحريم الاسرائيلية من حيث هى ، كما لم يلقوا باللائمة مطلقا على كل من أدخلها تفسيره على خلاف ما نسمعه اليوم من الاطلاق فى ذلك ٠

قال العلامة ابن القيم رحمه الله : من الامور التى يعرف بها كون الحديث موضوعا أن يكون مما تقوم الشواهد الصحيحة على بطلانه كحديث عوج بن عنق ، وليس العجب من جرأة من وضع هذا الحديث وكذب على الله تعالى انما العجب من يدخل هذا الحديث فى كتب العلم من التفسير وغيره ولا يبين أمره(٢٦) أ٠ هـ ٠

وقال الحافظ ابن كثير : وما شهد له شرعنا منها بالبطلان فذاك مردود ولا يجوز حكايته الا على سبيل الانكار بالابطال(٢٧) أ٠ هـ ٠

وقال الامام أحمد رحمه الله : ثلاثة كتب ليس لها أصول : المغازى والملاحم والتفسير ٠

وقال الامام الخطيب البغدادى رحمه الله موضحا قول الامام أحمد: وهذا الكلام محمول على أن المراد بكتب مخصوصة فى هذه المعانى الثلاثة غير معتمد عليها الا موثوق بصحتها لسوء أحوال مصنفيها وعدم عدالة ناقليها وزيادة القصاص فيها(٢٨) أ٠ هـ ٠

---

(٢٦) التفسير والمفسرون للذهبى ١/٣٦٠ ٠

(٢٧) البداية والنهاية ٦/٦ ، ٧ ٠

(٢٨) الجامع لأخلاق الراوى وأداب السامع ٢/١٦٢، ١٦٣ ٠

وخص الخطيب رحمه الله في هذا الباب من كتب التفسير : تفسير السائب الكلبي ومقاتل بن سليمان فقال : وأما الكتب المصنفة في تفسير القرآن فمن أشهرها كتاب الكلبي ومقاتل بن سليمان أ.هـ .

وقد أكد الخطيب هذا المعنى فيما حكاه عن عبد الصمد بن الفضل قال : سئل أحمد بن حنبل عن تفسير الكلبي . فقال : من أوله إلى آخره كذب ، فقيل له : فيحل النظر فيه ؟ قال : لا (٢٩) أ.هـ

فاتضح لنا من كلام الخطيب رحمه الله أن مراد الإمام أحمد رحمه الله من قوله (لا أصول لها) كتب مخصوصة ـ لا جميع كتب التفسير ـ غير معتمد على ما حكته وقصته لأن أسانيدها باطلة لا يعتمد على مثلها وقد فسر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله قول الإمام أحمد أن المراد به لا اسناد لها لأن غالب أسانيد كتب المغازي والملاحم والتفسير مراسيل (٣٠) .

وتفسير الخطيب البغدادي وشيخ الاسلام لا يمنعان من أن المراد الأسمى هو التحذير من روايات كتب التفسير اجمالا لأنه لا يعتمد على أسانيدها ، إذ أن منها ما حشيت بالكذب فعلا كتفسير مقاتل بن سليمان والسائب الكلبي على قول الخطيب البغدادي رحمه الله ، ومنها التي امتلأت بالمراسيل ، والمرسل ضعيف على تأويل شيخ الإسلام رحمه الله، وكل ذلك ينبهنا إلى أن الرواية الاسرائيلية لما فقدت قوة الاسناد كان لابد فيها من الحذر والتحرى وتقييمها باعتبار متنها من حيث الموافقة للأصول أو عدمها ولو لم يكن المراد هو هذا لتعارض ذلك مع إذن النبي ﷺ بالرواية عن بني اسرائيل .

---

(٢٩) انظر الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ١٦٢/٢ ـ ١٦٣ .
(٣٠) مقدمة في أصول التفسير ص ٥٩ .

وعلى هذا يحمل قول الإمام الشافعي رحمه الله عندما سأله رجل عن شيء من أمر نوح عليه السلام فقال الشافعي : ليت أنا نجد بيننا وبين نبينا عليه الصلاة والسلام شيئا يصح فكيف بيننا وبين نوح(٣١)اهـ

فقصد الإمام الشافعي رحمه الله : أن غالب ما يروى لا يؤخذ على إطلاقه بل لابد من تمحيصه ، ولو حمل كلامه على إطلاقه لتعارض مع قوله هو في الموطأ : ما كتاب بعد كتاب الله عز وجل أصح من موطأ مالك(٣٢) علماً أن الموطأ قد حوى ١٨٠٠ حديث تقريبا ما بين مرفوع وموقوف ومقطوع وفيه مراسيل وبلاغات كثيرة .

وهذا فضلا عن أنه صح عن النبي ﷺ الكثير بسبب الإسناد المتصل بنقل العدل الضابط عن مثله إلى منتهاه مع السلامة من الشذوذ والعلة القادحة ولو حملنا كلام الإمام الشافعي على إطلاقه لتعارض ذلك مع فقهه رحمه الله ، إذ يطالب عندئذ بأدلة فقهه من السنة وإلا فمن أين أتى بالفقه إذن ؟

وخلاصة القول : أن علماء السلف رحمهم الله تعالى لم يقفوا مكتوفي الأيدي أمام الإسرائيليات في التفسير ولم يطلقوا القول فيها بالتحريم وإلقاء اللائمة على المفسرين في إدخالهم لها في تفاسيرهم ، بل عابوا رواية الباطل دون بيان كذبها ، ومن هذا القبيل عابوا كتبا مخصوصة أدخلت هذا النوع دون بيان .

هذا عن موقف علماء السلف رحمهم الله تعالى ، وأما عن موقف المثقف المعاصر فإن الشعور بوجه عام مشعر بالتوجس من الإسرائيليات

---

(٣١) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ٢/١١٤ .

(٣٢) مقدمة تنوير الحوالك ص ٧ .

مطلقا والتأسف من وجودها فى كتب التفسير ، ولعل ذلك يعود إلى كثرة التنبيه على خطرها والطعن فيها مع الإطلاق دون تقييد أو تمييز ، وإن كان التقييد مقصودا ضمنا ، غير أن القارىء وإن كان مثقفا فإنه يتبادر إلى ذهنه الإطلاق دون أن يخطر بباله قيد قط .

فمثلا عندما يكتب بعض الباحثين فى الإسرائيليات ويحذر منها بقوله : إن فلانا حشا تفسيره بالإسرائيليات وآخر يقول : إن فلانا ملأ تفسيره بالإسرائيليات وآخر يقول : إن فلانا شحن تفسيره بالإسرائيليات مع أنه يعذر فيها لو أدخلها كتب التاريخ لكنه لا يعذر بإدخالها التفسير

فمثل هذا السياق مشعر بالإنكار المطلق ، وله أثره المطلق كذلك . وهكذا الشأن عند التحدث أو المذاكرة فى هذا الموضوع فإن الإطلاق هو الذى يسيطر غالبا .

والموقف الحق هو موقف السلف رحمهم الله تعالى وهو أن نميز الغث من السمين منها ، وننكر على من أدخل النوع الباطل منها دون بيان لفسادها ، هذا من جهة ، ولا نريد من جهة أخرى أن ينشغل المثقف المعاصر بها عما هو أهم وأثبت من الأحكام التشريعية والقضايا الإسلامية المعاصرة .

وبعد هذا يمكن أن ينشأ سؤال هو : بما أن المفسرين ميزوا الغث من السمين من الإسرائيليات فلماذا ذكروا غثها إذن فى تفاسيرهم ؟

ويأتى الجواب فى الاعتذار عنهم حيث تتضح الأسباب العلمية التي دفعتهم لذلك .

٦ - نوع التفسير الذى دخلته الرواية الإسرائيلية :

إن كتب التفسير تختلف فيما بينها فى طبيعة ونوعية المنهج لتفسير القرآن الكريم فمنها ما يعرف : - بالتفسير بالمأثور ، وهو تفسير القرآن بالقرآن أو بالسنة ، أو باقوال الصحابة ، والتابعين ، والمهم أن العامل الرئيسى فى هذا المنهج هو النقل ، ومن هذا النوع تفسير الإمام أبى حاتم الرازى المتوفى سنة ٣٢٧ هـ(٣٣) ، والإمام محمد ابن جرير الطبرى المتوفى سنة ٣١٠ هـ(٣٤) ، والحافظ ابن كثير المتوفى سنة ٧٧٤ هـ(٣٥) .

- ومنها ما عرف بالتفسير بالرأى ، وهو تفسير القرآن الكريم على ضوء العقل المجرد ، والواقع ، وربما دخل فيه تفسير أهل البدع والأهواء ، ومن هذا النوع تفسير الإمام الرازى المتوفى سنة ٦٠٦ هـ(٣٦) ،

---

(٣٣) انظر كتابه : تفسير القرآن العظيم . حققه واخرج أحاديثه د. أحمد عبد الله العمارى الزهرانى ، ط أولى ١٤٠٨ ، مطبعة هجر للطباعة والنشر والاعلان . القاهرة .

(٣٤) انظر كتابه : جامع البيان عن تاويل آى القرآن ، حققه وعلق حواشيه محمود شاكر ، دار المعارف ، مصر .

(٣٥) انظر كتابه : تفسير القرآن العظيم ، علق حواشيه وقدم له عبد الوهاب عبد اللطيف محمد ، الأولى ١٣٨٤ هـ ، مكتبة النهضة الحديثة ، القاهرة .

(٣٦) انظر كتابه: التفسير الكبير ط الثالثة ، دار احياء التراث العربي، بيروت .

وتفسير الإمام الزمخشرى المتوفى سنة ٥٣٨ هـ(٣٧) ٠

ومنها ما عرف بالتفسير الفقهى ، وهو تفسير يكثر فيه الإسهاب فى الكلام على الأحكام الفقهية فى الآيات التشريعية كتفسير الإمام القرطبى المتوفى سنة ٦٧١ هـ(٣٨) ٠

أو يقتصر فيه على تفسير الآيات التشريعية الفقهية فحسب كتفسير الامام الجصاص المتوفى سنة ٣٧٠ هـ(٣٩) ، والامام أبى بكر ابن العربى المتوفى سنة ٥٤٣ هـ(٤٠) ٠

- ومنها التفسير الباطنى ، وهو تفسير يخضع الآيات القرآنية للنظريات الصوفية الفلسفية ، والتأويلات الباطنية ، ومن ذلك كتاب الفتوحات المكية(٤١) ٠

وفصوص الحكم للشيخ محيى الدين بن عربى المتوفى سنة ٦٣٨ هـ ٠

- ومنها ما عرف بالتفسير العلمى بالمفهوم المعاصر الذى يفسر الآيات الكونية ، ويوضح حقيقة النفس البشرية وآثارها ، كما يعكس الحياة الاجتماعية ٠

---

(٣٧) انظر كتابه : الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل فى وجود التأويل ، دار المعرفة ، بيروت ٠

(٣٨) انظر كتابه : الجامع لأحكام القرآن ، دار احياء التراث العربى - بيروت ٠

(٣٩) انظر كتابه : أحكام القرآن ، دار الكتاب العربى - بيروت ٠

(٤٠) انظر كتابه : أحكام القرآن ، تحقيق على محمد البجاوى ، دار الفكر - بيروت ٠

(٤١) دار الكتب العربية - بيروت ،

من ذلك تفسير الامام محمد عبده المتوفى سنة ١٣٢٣ هـ(٤٢) ، وتفسير الشيخ محمد رشيد رضا المتوفى سنة ١٣٥٤هـ(٤٣)، وتفسير الشيخ طنطاوى جوهرى المتوفى سنة ١٣٥٨ هـ(٤٤) ، وتفسير سيد قطب(٤٥) المتوفى سنة ١٣٨٧ هـ(٤٦) .

هذه أشهر أنواع كتب التفسير ، أما النوع الذى دخلته الاسرائيليات فهو النوع الأول لأن الرواية الاسرائيلية هى من منهج هذا النوع لأنه يعتمد أصلا على النقل والرواية ، والصحابة والتابعون رضى الله عنهم كانوا يسمعون من أهل الكتاب ويروون عنهم كما تقدم .

أما الأنواع الأخرى فان موضوعها بعيد فى الأصل عن تفسير القرآن بالقرآن أو الرواية عن النبى ﷺ أو السلف الصالح رضى الله عنهم وإن دخله شيء من النقل فعلى سبيل التكميل لا الأصالة . بعد هذا يتضح أن الإسرائيلية لم تدخل جميع كتب التفسير - كما تفيده عبارة الكثيرين - وإنما نوعا واحدا من الأنواع السالفة الذكر وهو التفسير بالمأثور .

---

(٤٢) انظر كتابه : تفسير جزء عم ، مطبعة مصر - ١٣٤١ هـ .
وتفسير سورة الفاتحة وست سور من خواتيم القرآن بالاشتراك مع محمد رشيد رضا ، مطبعة المنار - ١٣٥٣هـ .

(٤٣) انظر : تفسير المنار ، مطبعة المنار ، ١٣٤٦ هـ .

(٤٤) انظر كتابه : الجواهر فى تفسير القرآن الحكيم ، مطبعة مصطفى الحلبى - ١٣٤٠ هـ .

(٤٥) انظر كتابه : فى ظلال القرآن ، دار الشروق - بيروت .

(٤٦) انظر : مباحث فى علوم القرآن للشيخ مناع القطان ، ص ٣٤٧ - ٣٥٧ .

ثم لو اردنا ان ناخذ صورة تقريبية عن حجم هذا النوع من التفسير بالنسبة إلى باقى كتب التفسير لوجدنا أنه لا يتجاوز ٩ر١٧ ٪

ودليل ذلك أن بعض الباحثين(٤٧) قاموا بإعداد حصر - حسب الطاقة - لكتب التفسير وعلوم القرآن الكريم وكل ما صنف فيما يتعلق بالدراسات القرآنية فقمنا بحصر لكتب التفسير فبلغت ٧٠٠ تفسير بجميع أنواع التفسير ثم انتقينا منها كتب التفسير بالمأثور فبلغت ١٢٥ تفسيرا ٠

ولدى عمل نسبة ١٢٥ : ٧٠٠ تظهر النتيجة ٩ر١٧٪ فهذا القدر من التفسير الذى دخلته الرواية الإسرائيلية بنوعيها المقبول والمردود ٠

٧ - نسبة الإسرائيليات الباطلة فى كتب التفسير :

إذا اردنا أن نتعرف على نسبة الإسرائيليات الباطلة فى كتب التفسير بوجه عام فيحسن لذلك أن نعرف نسبة وجود القصة القرآنية بالنسبة لباقى موضوعات القرآن الكريم ، لأن القصة القرآنية هى مظنة الرواية الإسرائيلية المفصلة الصحيحة والباطلة ، وليست الآيات التشريعية والآيات الكونية هى مظنة ذلك ٠

وبعد ذلك يمكننا أن نستخرج نسبة الإسرائيلية الباطلة من سائر الإسرائيليات فى كتب التفسير ، وهذا أمر يساعدنا على تقليص حجم الإنكار ٠

---

(٤٧) الدكتور على شواخ إسحاق فى كتابه معجم مصنفات القرآن الكريم والدكتورة ابتسام مرهون الصفار فى كتابها معجم الدراسات القرآنية ٠

أما عن نسبة القصة القرآنية بالنسبة لباقى موضوعات القرآن الكريم فإنها توجد فى ٥٨ سورة من سور القرآن الكريم الـ ١١٤ بدءا من سورة البقرة الى سورة المزمل ، ويستثنى من هذا التسلسل سورة ـ الرعد ـ والسجدة ـ وزمر ـ ومحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ والفتح ـ والحجرات ـ والنجم ـ والرحمن ـ والواقعة ـ والمجادلة ـ والحشر ـ والمنافقون ـ والطلاق ـ والملك ـ والمعارج ـ والجن ـ ، واما من سورة المزمل إلى سورة الناس فقد خلت من القصة ما عدا الفجر والشمس . غير أنه لا يمكننا أن نجزم بشىء بالنظر إلى عدد من السور التى تضمنت القصة ، ذلك لأن القصة قد تأخذ من السورة آية واحدة أو ثلاث آيات ، وهكذا إلى مائة آية أو أكثر وذلك قليل جدا كسورة البقرة ويوسف والكهف ومريم وطه والأنبياء والشعراء ، وفى بعض هذه السور لم تأخذ القصة مائة آية ، لهذا قمنا بإحصاء لعدد آيات ال ٥٨ سورة المشتملة على القصة القرآنية فبلغت ٤٧١٤ آية من أصل ٦٢٠٠ آية التى هى عدد آيات القرآن الكريم ، وربما يظن القارىء أن هذه نسبة كبيرة جدا ، والحال ليس كذلك لأن القصة القرآنية لم تأخذ من السورة إلا القليل من آياتها غالبا سوى السور السالفة الذكر .

وبعد الحصر الأول التقريبى لآيات القصة تبين أنها بلغت حوالى ٢٠٠٠ آية يعنى بمعدل ٣٠٪ من القرآن الكريم فهذه النسبة من القصة القرآنية هى التى اهتم بها أهل التفسير بالمأثور إما تفصيلا لها أو اقتصارا على ذكر ما يقتضيه الحال والمقام مما صح منها أو فسد ، وبذلك نضع هذه النسبة أمام كل قارىء لكتب التفسير حقيقة المراد من قول من يقول : إن كتب التفسير قد شحنت بالاسرائيليات ،

وما أشبه ذلك من الإطلاقات ، أما نسبة الباطل من الإسرائيليات فإنها بلغت ٢٥ ٪ من جميع الإسرائيليات ، ودليل ذلك هو أننا استخرجنا ٢٨ رواية من أشهر الإسرائيليات فى التفسير ولدى دراستها(٤٨) تبين أن سبع روايات منها باطلة والباقى مما تجوز روايته ، وهذا القدر يعادل ٢٥ر٧٪ - ٣٠ والنسبة المئوية ٢٥٪ فهذه النسبة تزيد الأمر وضوحا وتضييقا لساحة الإنكار المطلق وتحدد مسار الإنكار ووجهته وأنه ينصب على هذه النسبة فحسب لا على غيرها فهل حشا المفسرون تفاسيرهم من الإسرائيليات إذن ؟ ولكن يبقى بعد ذلك الكشف عن السبب لإدخالهم هذه النسبة الباطلة فى كتب التفسير وهل تعقبوها ببيان بطلانها أم لا ؟ ويتضح ذلك فى الاعتذار إن شاء الله .

٨ - من يعتذر عنه من المفسرين ومن لا يعتذر عنه :

تقدم قبل قليل أن بعض المفسرين أدخلوا الإسرائيلية الباطلة ، وهم ممن عرفوا بغزارة العلم والفضل والعدالة والضبط والذب عن حياض الإسلام وكانوا من أئمة عصرهم أمثال الإمام سفيان الثورى والامام سفيان بن عيينه والامام أبو الليث السمرقندى والامام أبو حاتم الرازى والامام ابن جرير الطبرى والامام البغوى والامام ابن عطية والحافظ ابن كثير والامام الثعالبى والامام السيوطى والامام الألوسى وهذا الأخير وإن كان تفسيره يعد من التفسير بالرأى الجائز إلا أنه كثير النقل والتعقيب على الإسرائيليات ومتداول كثيرا فأمثال هؤلاء الأئمة يعتذر عنهم وذلك بالكشف عن الأسباب التى دفعتهم إلى ذكر الإسرائيليات الباطلة فى كتبهم ، أما من عرف عنهم التساهل بالكذب وملأوا تفاسيرهم منه

---

(٤٨) ضمن بحث : الروايات الاسرائيلية ، وموقف مفسرى المشرق والمغرب منها .

كمقاتل بن سليمان والسائب الكلبى ومحمد بن مـروان المعروف بالسدى الصغير وأمثالهم فإنه لا يعتـذر عنهم بل يستمر التنبيـه على خطـر تفاسيرهم والله أعلم .

٩ - ضـرورة الاعتـذار :

بعد أن تـحددت جهـة الإنكار على بعض المفسرين لإدخالهم النوع الباطل من الاسرائيليات . كان من الضرورى الاعتذار عنهم في ذلك ، ووجـه هذه الضـرورة ما يلى :

(أ) أننا لو تركنا الأمـر على ما هو عليـه فسوف يبقى الأمر مدعاة للشـك والتسـاؤل نحو أولئـك العلمـاء العاملين الذين أفنوا أعمارهم فى الذب عن حياض الإسـلام بلسانهم وقلمهم وكانوا القدوة المثـالية والسلف الصـالح لكل من أتى بعدهم إلى عصرنا الحاضر لهذا يأتى بالاعتذار ليدفع ذلك الشـك والتساؤل ويثبت الثقـة ويطلعنا على ضرورات وظـروف علميـة ، لم يسبـق لكثير منها معرفتها ، إذ ذكرهم لهـا مع فضلهم يدل على أنهم ما ذكروها تساهلا بالكذب وإنما لمسوغ علمى .

(ب) إن أخـلاق البحث والنقد العلمى تقتضى البحث عن السبب الذى دعا الكاتب والباحث إلى تسجيل ما عرضـه للنقد ، والتماس العذر له بدلا من الإسراع إلى اتهامه بالخطأ والحط منـه - لو حدث ذلك - وبالأخص سلفنا الصالح رضى الله عنهم مع اليقين بعدم عصمتهم عن الخطـأ فإدخال بعضهم للاسرائيليات الباطلة لا يعقـل أن يكون ضربا من الاتساع فى الرواية فحسب أو ضـربا من العبث أو من التسـاهل في الكذب وهم قد ضربوا المثـل

الأمثل فى الورع والحافظ على قدسية كتاب الله عز وجل والذب عنه ، لذلك علينا أن نبحث عن السبب الذى دفعهم لذلك فإن لم نجد بعد الاستقراء التام قلنا لعل ذلك كان سهوا أو خطأ وهم غير معصومين منه ، والمعروف أن من شأن العلماء التماس العذر لبعضهم البعض بعدا وتحاشيا عن اتهام بعضهم بالخطأ وجرح الثقات ، فمن ذلك مثلا قول الامام أبى حيان الغرناطى النحوى عند ذكره روايات متعددة فى قصة الذى تحدث عنه رب العزة بقوله : « **واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها** »(٤٩) . قال ابو حيان : « والأولى فى مثل هذا إذا ورد عن المفسرين أن تحمل أقاويلهم على التمثيل لا على الحصر فى معين ، فإنه يؤدى إلى الاضطراب(٥٠) أ. هـ . فقوله هذا نابع من الانصاف العلمى المجرد ، إذ لم يرض اتهام الأئمة المفسرين بالاضطراب فى سردهم للروايات المختلفة فى الآية الواحدة ، واعتذر عنهم بعذر علمى وجيه لا يقبل الرد .

ومن هذا القبيل أيضا قول الحافظ السخاوى رحمه الله فى معرض الجمع بين روايتين متعارضتين من راو واحد والتماس العذر له من طروء الشك له مثلا حال الرواية اذ يقول : كثيرا ما يسلك الحفاظ كالنووى رحمه الله ذلك توصلا الى تصحيح كل من الروايات ، **صونا**

---

(٤٩) سورة الأعراف : الآية ١٧٥ .

(٥٠) البحر المحيط ٤/٤٢٢ .

للرواة الثقـات أن يتوجه الغلط الى بعضهم أ٠ هـ(٥١) ، فهذا سلوكهم فى النقد العلمى فهلا تأسينا بهم ٠

١٠ ـ ما يمكن أن يعتـذر به :

ان الاعتـذار عن المفسرين الذين أدخلوا الاسرائيليات الباطـلة فى تفاسيرهم ينحصر فى الجواب عن سؤالين :

أولهما : لمـاذا أدخلوها تفاسيرهم مع علمهم ببطلانها ؟

ثانيهما : هـل بينوا بطلانا منها بعـد ذكرهـا أم لا ؟

اما الجواب عن السؤال الأول فينحصر فيما يأتى :

١ ـ أن من منهج علمـاء الرواية والدراية العنـاية بالروايات المكذوبة حفظا وكتابة فى أجـزاء خاصـة ورواية لها فى سياق معين يميزها عن غيرها كى يعرفوا النـاس بها ولا يغتر بها أحد ، ولا نستبعد ذلك منهم فقد كان غير واحد من كبار أئمـة المحدثين يحفظون أحاديث الكذابين لهذا الغـرض ٠

قال الامام سفيان الثورى رحمه الله : انى لأروى الحديث على ثلاثة أوجـه : أسمع الحديث من الرجل اتخذه دينـا ، وأسمع الحديث من الرجـل أوقف حديثه ، وأسمع الحديث من الرجـل لا أعبـأ بحديثه وأحب معـرفته(٥٢) أ٠ هـ ٠

وقيـل لأبى حاتم الرازى : أهـل الحديث ربمـا رووا حـديثا لا أصـل له ولا يصـح ! فقـال : علمـاؤهم يعـرفون الصحيح من السقيم

---

(٥١) فتح المغيث ٢٤٢/١ ٠

(٥٢) شرح علل الترمذى لابن رجب الحنبلى ٧٨/١ ٠

فروايتهم للحديث الواهى للمعـرفة ليتبين لمن بعدهم أنهم ميزوا الآثار وحفظوها(٥٣) أ٠ هـ ٠

وقال الخطيب البغدادى رحمه الله : من روى حديثا موضوعا على سبيل البيـان لحال واضعه ٠

والاستشهاد على عظيم ما جاء به والتعجب منه والتنفير عنـه سـاغ له ذلك وكان بمثـابة إظهـار جـرح الشـاهد فى الحـاجة إلى كشفه والإبانة عنـه(٥٤) أ٠ هـ ٠

قال الإمام يعقوب بن سفيان الفسوى فى على بن الحـزور الكوفى وهو متروك الحديث قال : لا يكتب حديثه ولا يذكر الا للمعرفة(٥٥) أ٠ هـ ٠ وقال أيضـا فى عيسى بن قرطاس الكوفى وهو متروك ومتهم قال : لا يذكـر حديثه ولا يكتب إلا للمعـرفة(٥٦) أ٠ هـ ٠ وقال الامام محمد بن حبـان البستى فى عامـر بن صـالح الزبيرى : كان يروى الموضوعات عن الثقات لا يحـل كتب حديثه إلا على جهة التعجب(٥٧) أ٠ هـ ٠ وقال أيضـا فى كثير بن عبد الله اليشكرى : روى عن أبيـه عن جده نسخة موضوعة لا يحـل ذكرها فى الكتب ولا الرواية عنه إلا على جهـة التعجب(٥٨) أ٠ هـ وفى تهذيب التهذيب : قال الحسن بن خلال

---

(٥٣) فتح المغيث شرح ألفية الحديث للسخاوى ٣١٥/١ ٠

(٥٤) فتح المغيث ٢٥٥/١ ٠

(٥٥) تهذيب التهذيب ٢٩٧/٧ ٠

(٥٦) المصـدر السـابق ٢٢٨/٨ ٠

(٥٧) المصـدر السـابق ٧١/٥ ، ٧٢ ٠

(٥٨) المصـدر السـابق ٤٢٢/٨ ٠

حدثنا عمـران بن أبان عن شعبة عن مالك عن عمـرو بن مسلم عن سعيد بن المسيب عن أم سلمة رفعـه « إذا أهـل هلال ذى الحجـة فمن كانت عنده ذبيحـة .. » الحديث . قال عمـران : فسألت مالكا عنه أى الحديث ـ فقال : ليس هذا من حديثى قال : فقلت لجلسائه حدثنا بهذا الحديث عنه امام العراق ، ويقول : ليس من حديثى ، فقالوا إنه إذا لم يأخذ بالحديث ، فقال : ليس من حديثى .

قال الحافظ ابن حجـر بعد ذلك : كتبت هذا لأنى استنكرت هذا من عمـران ولا أعتقد صحة هذا الكلام عن مالك(٥٩) .

٢ ـ كان من منهج علمـاء السلف فى الرواية أنهم اذا ذكـروا اسنـاد الخبر اكتفوا بذكـره عن نقده واعتبروا ذلك إحـالة للقـارىء أو السـامع إلى التفتيش عن مستوى الرواية وكانوا يرون فى ذلك براءة من العهدة لذلك أثر عن بعضهم قوله : من أسند فقد حملك ومن أرسـل فقد تكفل لك(٦٠) يعنون بذلك : أن ذكـر الاسنـاد دون أى نقد وتقييم كان فى ذلك براءة من العهدة ، وانما العهدة على السامع والقـارىء ، وأما إرسـال الإسناد ففيـه كفالة من المرسـل وعلى عهدته أن لا يرسـل الا عن ثقـة عنده .

فيتضح من هذا المعنى أنهم كانوا يصنفون لأهـل عصرهم لأنهم يميزون وينقدون على خـلاف الحـال فى هذا العصـر ، لم يظنوا أن تصانيفهم سوف تبقى الى هذا العصـر .

قال الحافظ ابن حجـر : والاكتفاء بالحوالة على النظر فى الاسناد

---

(٥٩) المصـدر السـابق ١٢٢/٨ .

(٦٠) جامع التحصيل لأحكام المراسيل ص ٢٨ .

طريقة معـروفة لكثير من المحدثين وعليها يحمل ما صدر عن كثير منهم من ايراد الحديث الساقط معرضين عن بيانها صريحا ، وقد وقـع هذا لجماعة من كبـار الأئمـة ، وكان ذكـر الاسنـاد عنـدهم من جملـة البيـان(٦١) أ٠ هـ ٠

وقال الحافظ السخاوى رحمـه الله : وكذا لا يبرأ من العهدة فى هذه الأعصار بالاقتصار على ايراد اسناده بذلك لعدم الأمن من المحذور به وان صنعه أكثر المحدثين فى الأعصار المـاضية فى سنة مائتين وهلم جـرا خصوصا الطبرانى وأبو نعيم وابن منده فانهم اذا ساقوا الحديث باسناده اعتقدوا أنهم برئوا من عهدته(٦٢) أ٠ هـ ٠

وهذا الحكم منسحب تماما على الرواية الاسرائيلية المكذوبة اذ لا فـرق بينها وبين الحديث الموضوع من هذه الحيثية بل أمرها أخف لأنها لم ترد فى الأحكام التشريعية أصـلا وإنما فى التاريخ غالبـا ، يقول الحافظ أبو الفضـل العـراقى رحمه الله فى معـرض حديثه عن تفسير الواحدى وأمثاله من التفاسير التى اشتهرت برواية الاسرائيليات قال : من أبرز إسناده من المفسرين أعذر ممن حذف إسناده لأن ذاكـر اسناده يحيـل ناظره على الكشف عن سنـده ، أما من لم يذكر سنده وأورده بصيغة الجزم فخطؤه أشد كالزمخشرى(٦٣) أ٠ هـ ٠

نخلص مما سبق أن المفسرين الذين يعتذر عنهم ممن تقدم ذكرهم انمـا ذكـروا الاسرائيلية الباطلـة فى تفاسـيرهم ليميزوها عن المقبولة ،

---

(٦١) النكت على مقدمة ابن الصلاح ٨٦٣/٢ ٠

(٦٢) فتح المغيث ٢٥٤/١ ٠

(٦٣) النكت على مقدمة ابن الصلاح ٨٦٢/٢ ٠

وذكروا أسانيدهم الى رواتها من الصحابة والتابعين عن أهل الكتاب أو كتبهم ليبرأوا من العهدة أو أرسلوها عن ثقات عندهم كفالة منهم بذلك .

٢ - وأما الجواب عن السؤال الثانى وهو : هل تعقبوها بيان بطلانها بعد ذكرها أم لا ؟ فالجواب : أنهم تعقبوها أحيانا وسكتوا عنها أحيانا أخرى ، غير أنه غلب جانب التعقيب على السكوت ، وسأذكر خمسة أمثلة تدل على ذلك من واقع تفسير الامام ابن جرير الطبرى وابن عطية وأبى حيان النحوى والخازن والثعالبى وابن كثير ، وقبل أن أشرع فى ذكرها أحب أن أنبه الى أننا لم نزل نزل فى صدد الاسرائيلية الباطلة .

المثال الأول : قال الله تعالى حاكيا قصة أكل آدم من الشجرة : **(فازلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه)**(٦٤) ، فقد ورد فى معناها عند المفسرين ما مفاده : لما أسكن الله عز وجل آدم وزوجته الجنة وكان فيها شجرة تأكل منها الملائكة لخلدهم نهى الله آدم وزوجته عن الأكل منها ، فأراد ابليس أن يعصى آدم ربه ، ولما كان ممنوعا من دخول الجنة دخل فى جوف الحية وكان للحية أربع قوائم كأنها بختية - ناقة - فدخلت الحية الجنة ، عندئذ خرج الشيطان منها وكلم آدم مغريا له فى أكله من تلك الشجرة فأبى آدم فجاء الى زوجته فأغراها بالأكل منها فأكلت ثم ذهبت بثمرة منها الى آدم وكلمته فى الأكل منها فأكل فبدت لهما سوآتهما وطفقا يغطيانها بورق الجنة ودخل آدم فى جوف الشجرة فناداه ربه أين أنت يا آدم ؟ قال :

---

(٦٤) سورة البقرة الآية ٣٦

أنا هـذا يا رب . قال : الا تخـرج ؟ قال : أسـتحى منك يا رب عندئذ حول الله تلك الشجرة شوكا وهى شـجرة السدر ، ثم عاتب حواء بأن يكـون حملها لولدهـا كرها ، وعاتب الحيـة بأن جعـل قوائمها فى بطنها وأن لا تأكل الا التراب . فمثل هذه القصة يردها العقل السليم . أما موقف الطبرى منها فقـد ذكرها وتعقبها بترجيح ما وافق ظاهـر النص القرآنى(٦٥) . وأما ابن عطية فقـد ذكرها مختصرة ولم يعقب عليها(٦٦) . أمـا أبو حيـان فقـد ذكرها وتعقبها بالابطال(٦٧) وأما الخازن فقـد ذكرها وسـكت عنها(٦٨) ، وأمـا الثعالبى فلم يذكرهـا أصـلا(٦٩) ، وأمـا ابن كثير فقـد ذكرها وتعقبها(٧٠) .

المثال الثانى : أورد المفسرون روايات متعـددة فى قصة هـاروت وماروت ، والرواية الباطلة فى ذلك . (أن الله عز وجل لمـا أهبطهما الى الأرض جاءتهما امراءة من أجمل نساء فارس اسمها بيذخت فراوداها عن نفسها فأبت حتى يكفـرا بالله ويشربا الخمر ويقتلا النفس ويعلماها كلاما اذا تكلمت به يعرج بها الى السـماء ، ففعلا ذلك فقيـدا بالأغلال وجعل ببابل ، وتكلمت المـرءة بالكـلام فعرج بها الى السماء ومسخت نجما وهو الزهرة) وروى أن كوكب الزهرة نزل اليهم بصورة المـرأة

---

(٦٥) انظر جامع البيان عن تأويل آى القرآن ٥٢٥/١

(٦٦) انظر : المحرر الوجيز ٢٥٦/١

(٦٧) انظر : تفسـير البحر المحيط ١٦١/١

(٦٨) انظر : لباب التأويل ٤٩/١

(٦٩) انظر : الجواهر الحسان ٥١/١

(٧٠) انظر : تفسـير ابن كثير ٤٩/١ ، ٢٢٢/٢

وقد ذكر الطبرى هذه الرواية وسكت عنها(٧١) أما الثعالبى فقد أشار اليها باختصار وضعفها(٧٢) ، وذكرها كل من ابن عطية(٧٣) ، وأبى حيان(٧٤) ، والخازن(٧٥) ، وابن كثير(٧٦) ، وتعقبوها جميعا بالابطال .

المثال الثالث : ورد عند المفسرين فى قصة ما حمله نوح عليه السلام معه فى السفينة روايات متعددة : مفادها أنه حمل فيها زوجين زوجين ممن آمن معه وحمل من الشجر والبهائم زوجين زوجين فلما كثر روث الدواب فى السفينة أمره الله أن يغمز ذنب الفيل فخرج منه خنزير وخنزيره فاقبلاه على الروث فاكلاه ، ولما جعلت الفار تقطع حبل السفينة أمره الله عز وجل أن يضرب بين عينى الأسد ففعل فعطس الأسد فخرج من منخريه هران فاكلا الفار ، وقد روى فى هذا السياق خرافات أخرى، وقد ذكرها الطبرى ولم يعقب عليها(٧٧)، أما ابن عطية(٧٨) وأبو حيان(٧٩) فذكراها وعقبا بتضعيفها ، أما

---

(٧١) انظر : جامع البيان عن تأويل آى القرآن ٤٥٧/٢

(٧٢) الجواهر الحسان ٩٣/١

(٧٣) المحرر الوجيز ٤١٨/١

(٧٤) تفسير البحر المحيط ١٢٩/١

(٧٥) لباب التأويل ٨٨/١

(٧٦) تفسير ابن كثير ١٤٢/١

(٧٧) جامع البيان عن تأويل آى القرآن ٣١٨/١٥

(٧٨) المحرر الوجيز ٢٩٤/٧

(٧٩) تفسير البحر المحيط ٢٢٢/٥

الخـازن(٨٠) فذكرها ولم يعقب بتضعيفها ولم يذكرها الثعالبي(٨١) ولا ابن كثير(٨٢) .

المثال الرابع : قال الله تعالى : (**ولقـد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه**)(٨٣) ورد فى معنى الهم هنا أقوال متعددة وأفحشها معنى (أن يوسـف عليه السلام هم بفعل الفاحشة مع امراءة عزيز مصر فانفرج سـقف البيت فرأى منه صـورة أبيه يعقوب عاضا بفمه على يده وهو ينهاه عن الفاحشة فتركها وخرج من البيت فتبعته وقدت قميصـه من دبر وهى تجره الى داخل البيت وهـذا الأمر بعيد أصلا عن أنبياء الله عليهم الصلاة والسلام ويتعارض مع عصمة الله لهم . أمـا الطبرى فقد ذكـر هـذا الرأى وغيره ثم عقب بترجيح ما وافق ظاهـر النص القرآنى مطلقا(٨٤) وذكره كل من ابن عطيـة(٨٥) وأبى حيان(٨٦) والثعالبى(٨٧) وعقبوا بابطاله ، وأما الخازن فذكره ثم عقب بأن الهم هو حديث القلب الذى لا يواخذ به العبد(٨٨) ، وأما ابن كثير فذكره

---

(٨٠) لباب التأويل ٢٣٢/٣

(٨١) الجواهر الحسان ٢٠٥/٢

(٨٢) تفسير ابن كثير ٤٧٧/٢

(٨٣) سـورة يوسف الآية ٢٤

(٨٤) جامع البيان عن تأويل آى القرآن ٣٣/١٦

(٨٥) المحرر الوجيز ٤٧٦/٧

(٨٦) تفسير البحر المحيط ٢٩٤/٥

(٨٧) الجواهر الحسان ٢٣١/٢

(٨٨) لباب التأويل ٢٧٤/٣

فى أول الاقوال ثم ختم جميع الاقوال بقـول ينزه نبى الله يوسف عليه السلام عن ذلك مفـادة أن الهم بالسـوء لم يحصل أصلا (٨٩) ٠

المثال الخامس : قال الله تعالى : **(وهل أتاك نبأ الخصم إذ تسوروا المحراب ، إذ دخلوا على داود ففزع منهم ٠٠٠) (٩٠) الآيات ٠**

ورد فى معنى هـذه الآيات : أن داود عليـه السـلام كان يوما فى محرابه إذ وقعت عليه حمامة فاراد أن يأخذهـا فطارت إلى كـوة المحراب فنظر من الكـوة فـرأى امرأة عـارية تغتسل على سطح بيتها وقد كساها الله من الجمال ما لا يوصف فوقعت فى قلبه فسال عن زوجها فاخبر بانه أوريا أحـد قواد الجند فأرسله الى الغزو كى يقتل فأرسـله فى ثلاث غزوات وكان يعـود سالمـا ، وفى الرابعة قتل فتزوج زوجته بعـده وكانت هى تمام المـائة زوجة لداود عليه السلام لذلك أنزل الله إليـه ملكين بصـورة رجلين يختصمان فى نعجة ٠٠٠ الخ ، ومثل هذا الموقف لا يرضاه عاقل لنفسـه فكيف لنبى الله داود عليـه السـلام أما الطبرى فذكرها ولم يعقب عليها(٩١) ، وأمـا ابن عطية فذكرها وعقب بابطالها(٩٢) ، وكذا أبو حيان(٩٣) ، والثعالبى(٩٤) والخازن(٩٥)،

---

(٨٩) تفسير ابن كثير ٥١٠/٢

(٩٠) سورة ص الآيات ٢٢ - ٢٧

(٩١) جامع البيان عن تأويل آى القرآن ١٤١/١٢

(٩٢) المحرر الوجيز ٤٣٧/١٢

(٩٣) تفسـير البحر المحيط ٣٩/٤

(٩٤) الجواهر الحسان ٣٩/٤

(٩٥) لباب التاويل ٤٥/٦

وابن كثير(٩٦) ، فظهر من الأمثلة السابقة أن تعقيب المفسرين كان أكثر من سكوتهم وتوضيح ذلك أكثر ، اننا لو حسبنا المرات التي وردت في الأمثلة الخمسة عند المفسرين الستة لكانت ٣٠ مرة ، وقد سكتوا في ٦ مرات وعقبوا في الباقي وهو ٢٤ مرة ، هذا بوجه عام . أما الذين ظهر منهم السكوت أكثر من غيرهم فهم الطبري والخازن ، إذ سكت الطبري في ٣ نقاط والخازن في نقطتين .

وبالجملة فإن المفسرين لم يقفوا من الرواية الباطلة مكتوفي الأيدي وإنما أدخلوها تفاسيرهم للتعريف بها كي تتميز ولا يغتر بها ، ثم أسندوها ليبرأوا من العهدة ، ومع ذلك تعقبوها ببيان بطلانها في أكثر الأحيان .

١١ - تنبيهات :

الأول : تقدم معنا أن المفسرين تعقبوا الاسرائيلية أحيانا وسكتوا عنها أحيانا أخرى فسكوتهم هذا لا يعني أنهم تساهلوا فيها وذلك لأمور :

١ - إن مجرد ذكرها في كتب التفسير تمييز وبيان لها كي لا يغتر بها أحد ، كما أن ذكر إسنادها براءة من العهدة عندهم فكيف بعد ذلك إذا تعقبوها أحيانا ! بل إن تعقيبهم عليها لأول مرة دليل على أن المفسر قد وضح منهجه منها عمليا .

٢ - ربما يرى المفسر من وجهة نظر بحثية وتصنيفية أن التكرار في التعقيب فيه ملل وإطالة ما دام قد سبق أن تعقبها ووضح موقفه منها ، فربما تعقبها في البداية ثم ذكر بعدها أخرى فسكت بعدا عن الإطالة

---

(٩٦) تفسير ابن كثير ٣٣/٤

واكتفاء ببيان موقفه منها أولا ، وأضرب على ذلك مثالا من تفسير الطبرى باعتباره أكثر المفسرين المعنيين فى هذا البحث ذكرا لها وسكوتا عنها ففى قوله تعالى : (**واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان**) **الآيات (٩٧)** ٠

فقد ساق عند هذه الآيات إسرائيلية باطلة مفادها (أن سليمان لما كان فى ملكه وكانت الجن تسترق السمع من السماء وتتلقاه عنهم السحرة فكانوا يكتبونه فى صحف فاطلع سليمان على ذلك فجعل تلك الصحف تحت سريره كى لا يفتن الناس به وكان السحرة حريصين على إخراجه للناس ، ولما نزع الله ملك سليمان بسبب شيطان تشكل بصورته وأخذ خاتم سليمان من زوجته ثم جلس على عرشه فظنته الناس انه هو فاستخرج تلك الصحف للناس ٠٠٠ القصة ٠ وهى من الخرافات ، فبعد أن أسهب الطبرى فى سوق طرقها ورواياتها كعادته عقب بنقضها من أصلها وأوصى بالرجوع الى ما جاء فى كتاب الله عز وجل وعدم السماع لمثل ما يرويه أهل الكتاب(٩٨) ٠

ثم لما أورد بعدها مباشرة قصة هاروت وماروت وجاء فيها ما لا يطابق العقل ولا الواقع أصلا سكت عنها ولم يعقب(٩٩) ٠

٣ ـ ربما تكون الرواية غير ظاهرة البطلان وإنما تحتمله ، فربما يرى المفسر ـ اجتهادا ـ أنها غير باطلة فيسكت ولا يعقب ٠

---

(٩٧) سورة البقرة الآية : ١٠٢

(٩٨) جامع البيان عن تأويل آى القرآن ٤٤٦/١

(٩٩) المرجع السابق ٤٥٧/١

أو ربما تكـون جائزة الرواية مما لا يصـدق ولا يكذب أو ممـا وافق شرعنا وأصولنا فلا تحتاج الى تعقيب عندئذ ، فربمـا يظن غيـر العارف أن المفسر فى سـكوته عنها مقصر أو الأمر ليس كذلك ٠

٤ ـ إن أسـلوب التنبيه والإعلام ببطـلان الرواية ليس مسـلكا واحـدا بل هناك مسـالك متعددة فى ذلك فربما صـدر المفسر الرواية الباطلة بقوله : (**قيـل ـ أو روى أو ذكـر ـ أو زعـم أهـل الكتاب**) فهذه ألفاظ مشعرة بالضـعف عند أهل العلـم ، وربما يقول المفسر بعد انتهائـه من سرد الرواية الباطلـة (**هكـذا قيـل ـ أو هكـذا روى ـ أو والله أعلـم بالصـواب**) ٠

وما اشـبه ذلك فـذلك مشـعر ايضـا بالتضـعيف ، وربما عمـد المفسر الى ذكر روايات باطلة وصحيحة فقـدم ذكر الباطلة وأخر ذكـر الصحيحة ليشـعر القارىء العارف الفاهم كأهل عصره أن المعتمد عنده هو الرواية الأخيرة ٠ وعلى هـذا فليس التصريح بضـعف الرواية عقب سردها هو الذى يعتبر ٠ تعقيبا فحسب ٠

الثانى : إن الإسرائيلية الباطلة قد تكـون ظاهرة البطلان وقـد تحتمله فإذا كانت من الثانى فإن الاجتهاد يختلف فيها بين الناظرين ، لذلك لا يلام المفسر بعـدم التعقيب دائما ، لأنها قد تكـون من هـذا القبيل ، علمـا أن الناظر فيها والحاكم على بطلانها يجب فى الدرجة الأولى أن يكـون على دراية واسـعة بالسنة المطهرة ، لأنه قد يرد فى أخبار السـنة ما يؤيد وقوعها وحدوثها ، كمـا يجب أن يكـون على معرفة دقيقة بمسـالك الكلام ودلالات الألفاظ ، لأنه قد ترد الإسرائيلية موافقة لسـياق القصة القرآنية أو أن ألفاظ القصة القرآنية تحتملها فى

نظر المفسر ، ومن المفسرين من صرح بتطهير تفسيره من الإسرائيليات الباطلة وبعضهم اقتصر من الإسرائيليات بوجه عام على ما يحتمله نص القصة القرآنية فحسب ، فمثل هؤلاء إذا نظرنا فى تفاسيرهم فإن الأصل أن لا نجد فيها رواية باطلة ، لأن الأصل فى المفسر أن يلتزم بما اشترطه على نفسه وأن يصدق فيما أخبر عما صنعه ، وخاصة سلفنا الصالح رضى الله عنهم ، وإذا كان كذلك فلا يجوز لأحد بعدهم أن يتهمهم بالإخلال بالشرط إلا ممن كان فى مستواهم العلمى والعقلى حتى يستطيع أن يخوض فى ذلك منعم إذا وجدنا فى كتبهم ما هو صريح البطلان ولا يحتمل التأويل بحال التمسنا لهم العذر وبحثنا عن السبب كما تمليه أخلاق النقد العلمى ومن هؤلاء المفسرين الإمام أبو حيان النحوى حيث يقول فى تفسيره : وقد ظهر كتابنا هذا عن نقل ما فى كتب التفسير مما لا يليق ذكره واقتصرنا على ما دل عليه لسان العرب ومساق الآيات(١٠٠) أ هـ .

ومنهم الإمام البغوى حيث يقول فى مقدمة تفسيره : وأعرضت عن ذكر المناكير وما لا يليق بحال التفسير(١٠١) أ هـ .

ومنهم الحافظ ابن كثير حيث يقول : ولم أر تطويل الكتاب بذكرها لأن منها ما هو موضوع من وضع بعض الزنادقة ومنها ما يحتمل أن يكون صحيحا ونحن فى غنية عنها ولله الحمد ، وفيما قص الله علينا فى كتابه غنية عما سواه من بقية الكتب قبله ، ولم يحوجنا

---

(١٠٠) تفسير البحر المحيط ٢٩٤/٥

(١٠١) انظر : ٨/١

الله ورسوله إليهم(١٠٢) أ هـ .

ومن الذين اقتصروا - من الإسرائيلية عموما - على القدر الذى يفسر اللفظ القرآنى دون إسهاب الإمام ابن عطية إذ يقول : وقصدت فيه أن يكون جامعا وجيزا محررا ، لا اذكر من القصص إلا ما تنفك الآيه به(١٠٣) أ . هـ .

وليس بعيدا أن يكون كثير من المفسرين على هذا النهج لو أننا تتبعنا الأمر تتبعا تاما ، والذى يشعرنا بذلك مثلا قول الامام الثعالبى فى تفسيره لقوله تعالى : (**فابعثوا احدكم بورقكم هذه إلى المدينة**)(١٠٤) .

إذ قال : وذكرت المهم الذى تتفسر به الفاظ الآية(١٠٥) ، وقول الغرناطى فى تفسيره لقوله تعالى : (**إذ أوى الفتية إلى الكهف**)(١٠٦) ، قال : نذكر من قصتهم على وجه الاختصار مما لا غنى عنه(١٠٧) أهـ .

الثانى : اشتهر ان الإمام الطبرى رحمه الله هو أكثر المفسرين - الذين يتداول الناس تفاسيرهم فى هذا العصر - ذكرا للإسرائيلية واسهابا فيها ، ولكنه لم يكن من الساكتين عنها على الدوام وإنما كان يعقب عليها أحيانا غير أنه فيما يبدو أقل المفسرين المعنيين فى هذا

---

(١٠٢) تفسير ابن كثير ٢٧ - ٢٩

(١٠٣) المحرر الوجيز ٤٢٠/١

(١٠٤) سورة الكهف من الآية ١٩

(١٠٥) الجواهر الحسان ٣٧٣/٢

(١٠٦) سورة الكهف من الآية ١٠

(١٠٧) التسهيل في علوم التنزيل ٣٣٣/٢

البحث تعقيبا عليها فلماذا ذكرها إذن وسكت عنها ؟ مع العلم أن **ذكر المفسرين لها في كتبهم كان لتمييزها كي لا يغتربها وإن سكتوا عنها ما داموا قد ذكروا الإسناد** ، والإمام الطبرى لا يهمل ذكر الاسناد ؟

ونترك الجواب للشيخ محمود شاكر الذى حقق قسطا كبيرا من تفسير الطبرى ليجيب عن هذا التساؤل . يقول تحت عنوان تذكرة : تبين لى مما راجعته من كلام الطبرى أن استدلال الطبرى بهذه الآثار التى يرويها بأسانيدها لا يراد به إلا تحقيق معنى لفظ أو بيان سياق عبارة ، فهو قد ساق هنا الآثار التى رواها بأسانيدها ليدل على معنى (الخليفة) و (الخلافة) وكيف اختلف المفسرون من الأولين فى معنى (الخليفة) وجعل استدلاله بهذه الآثار كاستدلال المستدل بالشعر على معنى لفظ فى كتاب الله وهذا بين فى الفقرة التالية للأثر رقم ٦٠٥ إذ ذكر ما روى عن ابن مسعود وابن عباس ، وما روى عن الحسن فى بيان معنى الخليفة واستظهر ما يدل عليه كلام كل منهم ، ومن أجل هذا الاستدلال لم يبال بما فى الاسناد من وهن لا يرتضيه ، ودليل ذلك أن الطبرى نفسه قال فى اسناد الأثر ٤٦٥ عن ابن مسعود وابن عباس فيما مضى ص ٣٥٣ : (فإذا كان ذلك صحيحا ولست اعلمه صحيحا إذ كنت بإسناده مرتابا) فهو مع ارتيابه فى هذا الإسناد قد ساق الأثر للدلالة على معنى اللفظ وحده فيما فهمه ابن مسعود وابن عباس - إن صح عنهما - أو فهمه الرواة الأقدمون من معناه وهذا مذهب لا باس به فى الاستدلال ، ومثله أيضا ما يسوقه من الاخبار والآثار التى لا يشك فى ضعفها أو فى كونها من الإسرائيليات ، فهو لم يسقها لتكون مهيمنة على تفسير آى التنزيل الكريم بل يسوق الطويل لبيان معنى

لفظ أو سياق حادثة وإن كان الأثر نفسه مما لا تقوم به الحجة فى الدين ولا فى التفسير التام لأى كتاب الله ، فاستدلال الطبرى بما ينكره المنكرون لم يكن إلا استظهارا للمعانى التى تدل عليها ألفاظ هذا الكتاب الكريم كما يستظهر بالشعر على معانيها فهو إذن استدلال يكاد يكون لغويا ، ولما لم يكن مستنكرا أن يستدل بالشعر الذى كذب قائله ما صحت لغته فليس بمستنكر أن تساق الآثار التى لا يرتضيها أهل الحديث والتى لا تقوم بها الحجة فى الدين للدلالة على المعنى المفهوم من صريح لفظ القرآن ، وكيف فهمه الأوائل سواء كانوا من الصحابة أو من دونهم(١٠٨) أ هـ .

فتبين لنا مما تقدم أمران :

الأول : أن الإمام الطبرى رحمه الله لم يكن يذكر الإسرائيلية لترويجها وإنما لمسوغ علمى اقتضى ذلك .

الثانى : أنه يجب على من أراد أن يطلق حكما على مفسر معين أن يكون لديه استقراء تام لتفسيره مع سعة فى العلم ودقة فى التمييز ولو تم ذلك فان حكمه عندئذ سوف يكون فى صالح سلفنا الصالح لأنهم هم أهل العلم والقدوة الحسنة لجميع المسلمين من بعدهم فلا يتصور منهم العبث وترويج الباطل .

١٢ - ضرورة تنقية كتب التفسير من الإسرائيليات الباطلة :

بعد أن تبين لنا أن بعض المفسرين أدخلوا الإسرائيليات الباطلة فى تفاسيرهم ، إنما فعلوا ذلك بمسوغ يتوافق مع ظروف أهل عصرهم

---

(١٠٨) جامع البيان عن تأويل آى القرآن ١/٤٥٤

فلا يمعنا فى هـذا العصر لتمام الاستفادة من تلك التفاسـير أن تصفى من الإسرائيليات الباطلة كى يتسنى للفكر المعاصر تمام الفائدة منها ، ولـو تركت تلك الكتب على ما هى عليـه فان الفكـر المعاصر سـوف ينقدها بشدة ويبطل عنده الانتفاع بتلك التفاسير جملة وتفصيلا بعيدا عن التماس العـذر والبحث عن الأسـباب لأنه لا يعتبر ذكـر الإسـناد مسـوغا أصلا فضـلا عن جهله فى الغالب فى علم نقد الأسانيد وتقييمها علما أن القصـور فى ذلك قد سـبق عصرنا هـذا ٠

يقول الحافظ السخاوى رحمه الله وهو ممن عاش فى القرن التاسع والعاشر ت ٩١١ (لا يبرأ من العهـدة فى هذه الاعصار بالاقتصار على ايراد الاسـناد لعـدم الأمن من المحذور به وإن صنعه أكثر المحدثين فى سـنة مائتين وهلم جرا) (١٠٩) أ هـ ٠

فاذا لم يؤمن من المحذور فى القرن التاسـع والعاشر ففى هـذا القرن الخامس عشر لا يؤمن من باب أولى حيث انشـغل فيـه الفكـر المعاصر بالحضارة المـادية وتعقيداتها فلم ينشـط لبذل أى جهد فيما يتعلق بعلم الحديث أو بغيره من العلـوم الشرعية وخاصـة ما كان فى سـبيل التحقيق العلمى فى مسائلها ، لذلك فإن المرجح أن يكـون بين يديه تفسـير خال من تلك الروايات كى يتسنى له الانتفاع به دون بذل أى جهد ليس من تخصصه أصـلا ، فاذا فعلنا ذلك نكـون قد عرفنـا الفضل لأهله وحافظنا على استمرارية الانتفاع بأثارهم العلمية ٠

---

(١٠٩) فتح المغيث ٤٥٤/١

١٣ ـ الأسلوب الأمثل فى تنقية كتب التفسير من الإسرائيليات الباطلة :

لتنقية الإسرائيليات الباطلة من كتب التفسير نقترح ما يلى :

ـ أن تنتقى تلك الإسرائيليات وتجمع فى تأليف مستقل ليكون ذلك أدعى وآكد فى التنبيه عليها ٠

ـ أو تحقق تلك التفاسير تحقيقا علميا على ضوء منهج النقد عند المحدثين ويميز فيها الرواية الباطلة من الرواية الصحيحة باعتبار الإسناد والمتن ٠

ـ أو أن تقوم بعض الجامعات المتخصصة بتكوين لجنة علمية متخصصة فى التفسير والحديث على مستوى عال وتسند إليها مهمة تفسير القرآن الكريم تفسيرا خاليا من ذلك النوع من الإسرائيليات الباطلة ٠

ونرى أن الاقتراح الأول أخصر زمنا ومؤنة والله أعلم ٠

١٤ ـ الخاتمة :

الحمد لله الذى بفضله تتم الصالحات وصلى الله على سيدنا محمد الذى ختم الله به الرسالات وعلى آله وأصحابه الذين ختم الله لهم بأحسن الخاتمات ورفعة الدرجات ٠ وبعد :

فهذه خاتمة البحث ـ نسأل الله حسنها ـ نذكر فيه أهم ما توصلنا اليه من فوائد :

١ ـ إن المفسرين المعروفين بعدالتهم وفضلهم وأدخلوا الإسرائيليات الباطلة تفاسيرهم انما فعلوا ذلك لمسوغات علمية تتوافق مع أهل عصرهم بعيدا كل البعد عن التساهل فى رواية الباطل وترويجه ٠

٢ - إن منهج النقد التعليمى يقتضى الاستقراء التام للتحرى فى إصدار الحكم الدقيق بعيدا عن المجازفة فيه .

كما يقضى ذلك أن يكون الناقد فى مستوى الذى يوجه نقده إليه أو أعلى منه علما وعقلا .

٣ - إن من أخلاق النقد العلمى البحث عن الأسباب والتماس الأعذار وسلوك التأويل قبل تسديد النقد والاعتراض وذلك بعد التأكد من وجود دواعى الاعتراض .

٤ - على الباحث والناقد تحرى الدقة فى إصدار الحكم فلا يستعمل الاطلاق فى موطن التقييد ولا العكس وكذا فى العموم والخصوص .

٥ - إن لكل عصر ظروفه الخاصة به لذا يجب مراعاتها .

* * *

ثبت المصادر والمراجع

١ ـ **أحكام القرآن للجصاص** دار الكتاب العربى ، بيروت .

٢ ـ **أحكام القرآن لأبى بكر بن العربى**

تحقيق على محمد البجاوى . دار الفكر ـ بيروت .

٣ ـ **الإسرائيليات والموضوعات فى كتب التفسير** للدكتور محمد بن محمد أبو شهبة ط الرابعة ١٤١٠هـ ـ مكتبة السنة . القاهرة .

٤ ـ **البداية والنهاية لابن كثير** . دار الفكر العربى القاهرة .

٥ ـ **بنو إسرائيل فى الكتاب والسنة** د. محمد سيد طنطاوى .

٦ ـ **تاريخ الأمم والملوك لأبى جعفر محمد بن جرير الطبرى**

تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم . دار سويدان . بيروت .

٧ ـ **تفسير البحر المحيط لأبى حيان الأندلسى**

ط . الثانية ١٤٠٣هـ ـ دار الفكر ـ بيروت .

٨ ـ **تفسير البغوى ـ معالم التنزيل**

الطبعة الثانية بهامش تفسير الخازن ١٣٧٥هـ ـ ١٩٥٥م .

٩ ـ **تفسير القرآن العظيم لأبى حاتم الرازى**

المطبوع جزءان حققه وعلق حواشيه د. أحمد عبد الله العمارى الزهرانى ، ط . الأولى ١٤٠٨هـ ـ مطبعة هجر . القاهرة .

١٠ ـ **تفسير القرآن العظيم لابن كثير**

علق حواشيه وقدم له عبد الوهاب عبد اللطيف صححه وأشرف عليه محمد الصديق ، ط ١٩٨٤م مطبعة الفجالة الجديدة القاهرة.

١١ ـ **التفسير والمفسرون للدكتور محمد حسين الذهبى**

ط الثانية ١٣٩٦هـ ـ دار الكتب الحديثة ، القاهرة .

١٢ - تنوير الحوالك شرح موطأ الامام مالك
لجلال الدين السيوطى ، نشر دار الفكر ، بيروت ،
١٣ - تهذيب التهذيب للحافظ ابن حجر العسقلانى
نشر دار صادر ، بيروت ،
١٤ - الجامع لأخلاق الراوى وأدب السامع ، للخطيب البغدادى
تحقيق د. محمود الطحان ، نشر مكتبة المعارف ، الرياض ،
١٥ - جامع البيان عن تأويل آى القرآن لابن جرير الطبرى
حققه وعلق حواشيه محمود شاكر وراجعه وخرج أحاديثه أحمد شاكر ، ط الثانية ، دار المعارف ، مصر ،
١٦ - جامع التحصيل لأحكام المراسيل للحافظ صلاح الدين العلائى
نشر وزارة الأوقاف العراقية ، بغداد ،
١٧ - الجواهر الحسان فى تفسير القرآن للثعالبى
مؤسسة الأعلمى للمطبوعات بيروت ،
١٨ - شرح علل الترمذى للامام ابن رجب الحنبلى ، دار المثنى بغداد ،
١٩ - صحيح البخارى بشرحه فتح البارى لابن حجر العسقلانى
نشر ادارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد ، الرياض،
٢٠ - علوم الحديث لأبى عمرو بن الصلاح
نشر المكتبة العلمية بالمدينة المنورة ،
٢١ - فتح المغيث شرح الفية الحديث للحافظ السخاوى
نشر دار الكتب العلمية ، بيروت ،
٢٢ - الكامل فى التاريخ لعز الدين أبى الحسن ، على الشيبانى بن الاثير
دار صادر بيروت ،
٢٣ - كتاب التسهيل لعلوم التنزيل لمحمد بن أحمد بن جزى الكلبى الغرناطى ،

تحقيق محمد عبد المنعم اليونسى وابراهيم عطوة عوض . دار الكتب الحديثة .

٢٤ - لباب التأويل فى معانى التنزيل للخازن
ط الثانية ١٣٧٥هـ مصطفى الحلبى . القاهرة .

٢٥ - مباحث فى علوم القرآن للشيخ مناع القطان .

٢٦ - المحرر الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز ، لابن عطية الأندلسى.
تحقيق وتعليق عبد الله ابراهيم الانصارى والسيد عبد العال السيد ابراهيم ط الأولى ١٤٠٧هـ ، مؤسسة دار العلم . الدوحة قطر .

٢٧ - مسند الامام أحمد بن حنبل ، تصوير تركيا من النسخة اليمنية
ط الحلبى . القاهرة .

٢٨ - معجم الدراسات القرآنية ، د. ابتسام مرهون الصفار
الطبعة الأولى ١٩٨٤ م مطبعة جامعة الموصل ، العراق .

٢٩ - معجم مصنفات القرآن الكريم ، د. على شواخ اسحاق
الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ ، دار الرفاعى للنشر والطباعة والتوزيع الرياض .

٣٠ - مقدمة ابن خلدون لعبد الرحمن بن خلدون
ط أولى ١٩٧٨ م ، دار القلم ، بيروت .

٣١ - مقدمة فى اصول التفسير لابن تيمية ، تحقيق د. عدنان زرزور
ط الأولى ١٣٩١ هـ ، دار القرآن الكريم ، الكويت .

٣٢ - النكت على كتاب ابن الصلاح للحافظ ابن حجر العسقلانى
نشر الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة .

فهـرس الموضـوعات

الموضـــــوع	الصفحة
١ ـ مقـــدمة	١٩
٢ ـ تعـريف الاسرائيليات	٢٣
٣ ـ انواع الاسرائيليات وحكم رواية كل نوع	٢٦
٤ ـ كيف تسربت الاسرائيليات الى كتب التفسير	٣٠
٥ ـ موقف علماء السلف والفكر المثقف المعاصر من وجود الاسرائيليات فى كتب التفسير	٣٣
٦ ـ نوع التفسير الذى دخلتها الرواية الاسرائيلية	٣٨
٧ ـ النسبة المئوية للاسرائيليات الباطلة فى كتب التفسير ...	٤١
٨ ـ من يعتذر عنه من المفسرين ومن لا يعتذر عنه	٤٣
٩ ـ ضـرورة الاعتـذار	٤٤
١٠ ـ ما يمكن أن يعتذر به	٤٦
١١ ـ تنبيهـــات	٥٥
١٢ ـ ضرورة تنقيـة كتب التفسير من الاسرائيليات الباطلة	٦١
١٣ ـ الأسلوب الأمثل فى تنقية كتب التفسير من الاسرائيليات الباطـلة	٦٣
١٤ ـ الخـاتمـــة	٦٣
١٥ ـ ثبت المصـادر والمـراجع	٦٥
١٦ ـ فهـرس الموضـوعات	٦٨